تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث

العدد الثالث (١٢) ـ السنة الثالثة ـ رجب ١٤٠٨هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث

- الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.
- الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.
- ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.
- النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها.

المراسلات :

تعنون باسم: هيئة التحرير

بيروت ـ بئرالعبد ـ مقابل البنك اللبناني / الفرنسي

ص. ب ٢٤/٣٤ ـ تلكس ٤٠٥١٢ ـ ت: ٨٢٠٨٤٣

تراثنا

العدد الثالث [١٢] / السنة الثالثة / رجب ـ شعبان ـ رمضان ١٤٠٨ هـ . ق.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث.

الكمّية: ١٠٠٠ نسخة.

قيمة الإشتراك السنوي في نشرة تراثنا ١٥ دولاراً داخل لبنان ، و٢٥ دولاراً في البلاد العربية وأوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكيتين واستراليا . بضمنها أجور البريد المضمون .

ملاحم على غرار ملحمة

الشيخ جعفر عباس الحائري

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الهداة المعصومين، الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، واللعن الدائم على أعدائهم أبداً.

وبعد، فإنّ لأُدبائنا القدامى والمحدثين الّذين عُرفوا بالولاء لأهل البيت -عليهم السلام- أشعاراً كثيرة وملاحم طويلة، جادت بها قريحتهم وموهبتهم تجاه الائمّة الميامين من خلفاء النبي الأعظم -صلّى الله عليه وآله وسلّم- وما أعطاهم الله من المواهب والعظمة والإجلال ممّا لا يُعطى لأحد سواهم، ولا يُخَصُّ به أحد غيرهم.

منهم الشاعر الكبير الشيخ كاظم الأُزري -رحمه الله- صاحب الملحمة الأُزرية التي تلوك بها الألسن، وتفوه بها الأشداق.

ويقول الزركلي في الأعلام ٢١٥/٥ -طبع دار الملايين، سنة ١٩٧٩- عنه: كاظم بن محمد بن مهدي بن مراد الوائلي البغدادي الشهير بالأُزري، شاعر فحل، يقال له شاعر أهل البيت، أشهر شعره قصيدة مطلعها:

لمن الشمس في قباب قباها شَفَّ جِسْمُ الدُجى بروح ضِياها

تزيد على ألف بيت، وله ديوان مطبوع مرتّب على الحروف، أكثره مدائح في أهل البيت -عليهم السلام-...

وهناك ملاحم على نهج هذه الملحمة من أُدبائنا الماضين والمعاصرين جاروا فيها هذه القصيدة، أحببت أن أذكرها في مقالي هذا، وأخصّ بها نشرة «تراثنا» التي تصدرها مؤسسة آل البيت -عليهم السلام- بقم المقدّسة.

الأُولى: ملحمة الشاعر الكبير محمد جواد بَدْقَتْ الكربلائي، المتوفى سنة ١٢٨١ هـ، ويبلغ عدد أبياتها ١٢٦٥ بيتاً، وإليك من أولها أبياتاً:

أهِيَ الشمسُ في سَماءِ عُلاها ... أخَذَتْ كُلَّ وجْهَةٍ بِسَناها
أمْ تَجَلّتْ بِوجْهةٍ دُونَ أُخرى ... وَلِما أنتَ بالِغي في هَواها
أيْنَما تَنْبَري بِطَرْفَيْنِ في فَجّ (م) مِنَ الدَهْرِ لَمْ تَجِدْ إلّاها
كُلَّ قلبٍ يَضُمُّهُ صَدْرُ شَرّ ... وَجَّهَتْه يَدُ الهوى تَلْقاها
غَيْرَ أنَّ الشؤونَ شَتّى فَكُلٌّ ... بِسَبيلٍ بَدَتْ له واهتَواها (٥)
واهيامي بِها فَلَيْتَ مُجَلّيها ... بإنشاءِ مُهْجَتي جلاها
هي سِرُّ الهَوى فإنْ تَلْقَ نَفْساً ... لِسِواها يشفها باحْتِواها
بَلَغَ الشَوْقُ بي إليها مَقاماً ... لَوتَرى النفسُ تَرْكَهُ أعياها
كُلُّ آنٍ قَلْبٌ يُمَزِّقُهُ البَيْنُ ... وعَيْنٌ يَبينُ عَنها كَراها
وَرُبوعٌ تُرْوى بِفَيْضِ دُموعٍ ... كانَ مِن ماءِ مُهْجَتي مَجْراها (١٠)
إنّما جَنَّةُ الفؤادِ تَباهَتْ ... وَوُجوهُ الإشراقِ لا تَتَناها
كانَ مِنّي لِمُنْتَهى أمَدِ الشوقِ ... بلوغٍ لَوْ كانَ قَصدي سِواها
إن أبَثّها العِينُ الحِسانُ عياناً ... من جلت عن حكاية لبّاها
وجميع سامت فؤادي ولكن ... أينَ منها مستوهنٌ لوعراها
أنا مهما أحْرَزتُ في الحبِّ مِنْ ... شَأوٍ وأحْكَمْتُ فيهِ وَشْكَ لِقاها (١٥)
لَمْ تَسِمْني إلّا جفاها كأنّي ... لَمْ أُصانِعْ إلّا اسامِ جفاها
فتدبّر عَشاءَ نَفْسي وأبصر ... بِك إنْ كِدْتَ أن تَرى سَماها
كُنتُ صُلْباً على الليالي ولكنْ ... ذُبْتُ مِمّا عانَيْتُهُ مِنْ نَواها
وعذولي أعمى الإلٰه عذولي ... لَوْبِهِ بَعضُ ما بِه ما لَحاها
حَسْبُهُ ظِلّةَ أهلِ ظَنٍّ إنِ ... العدلُ يَحْمي الفؤادَ أنْ يَهْواها (٢٠)

يَرى إذا خالَ نفسي مَلاماً في الهَوى غيرَ أنّه أغْراها
مني والهَوى أهون بنفسي إنْ تَناهَتْ مُؤنّبٌ عَن هواها
كيفَ أَلوي بمهجتي عَن هَواها وهوجار كالروح في أعضاها

وتوجد هذه الملحمة عند بعض السادة في كربلاء، وله أيضاً ديوان شعر مخطوط خلّفه لنا، ويحدّثنا صاحب «شعراء من كربلاء» -ج ١ ص ٨٧ ط. النجف- عنه فيقول: ومن الآثار الأدبية التي تركها لنا الشاعر الفذّ قصائد متفرّقة جمعت في ديوان مخطوط، كانت نسخة الأصل منه في مكتبة السيد عبدالحسين آل طعمة رحمه الله...إلّا انّها احترقت ضمن الكتب التي كان يمتلكها إثر حادثة حمزة بيك المعروفة في كربلاء عام ١٠٣٣ هـ.

أُنظر ترجمته في: أعيان الشيعة ١٧: ١٨٨ للسيد الأمين، طبقات أعلام الشيعة -الكرام البررة- ٢: ٢٧٨ لآقابزرك، الطليعة في شعراء الشيعة للسماوي، وشعراء من كربلاء ١: ٧٢ لآل طعمة.

الثانية: ملحمة الشاعر الشهير العلّامة الشيخ عبدالحسين الحويزي الكربلائي -قدّس سرّه- والتي تربو على الألف بيت وتسمى هذه الملحمة بفريدة البيان في مدح النبي الأعظم وعترته الأطهار عليهم السلام[1] بالإضافة إلى ما له من دواوين قيّمة والتي تربو على خمسة عشر ديواناً، وكل ديوان يحتوي على عشرة

---

(١) يقول عنها الشاعر مرتضى الوهّاب الكربلائي -رحمه الله-:

ألفيّةٌ أم روضة للزهورْ فريدةٌ أم مجمعٌ للبحورْ
أمْ مَرَجُ البَحْرَيْنِ إذ يَخْرُجُ(م) اللؤلؤُ والمَرْجان حلي الصُدورْ
أمْ لُجُّ بَحْرٍ مِنْ خيالٍ بِهِ تَجْري جواري مُنْشآتِ الشعورْ
أمْ غابُ أُسْدٍ بَرَزَتْ أُسْدُه زئيرُها يَمْلأ سمعَ الدهورْ
(٥) أمْ جَمَراتٌ نُفِثَتْ مِنْ حَشا أمْ جِمَمٌ كالقَصْرِ تَرْمي الكَفُورْ
أمْ شُهُبُ النِقْمَةِ تهوي بها رجماً شياطينُ البَلا والشرورُ
أمْ زَفَراتٌ أُطْلِقَتْ مِن جَوىً قذائفاً كانت لَظىً في الصُدورْ
بألْفِ بَيْتٍ في الدُنى سلّمْ المَجْدِ(م) وفي الأُخرى جميعاً قصورْ
في كلّ بيت حجرٌ ثابتٌ اشعاعه في الحقّ نارٌ ونورْ
(١٠) في مَدْحِ أهلِ البيتِ نورٌ وفي إصلاءِ أهلِ البغي نارٌ تَفورْ
حازَ الحويزي بها رُتبةً لأجلها خُلّدَ مَدَّ العُصورْ

آلاف بيت من الشعر الراقي[٢].

ويقول أحد الأُدباء في تعريفها: هذه الملحمة الغرّاء التي هي من أثمن نفائس الأدب العربي، ونموذج رائع من الشعر القصصي التاريخي.

ويبدأ قبل الدخول في الغرض المقصود، بوصف الإبل وسيرها، والصحراء ورياحها، والهوادج التي تحملها الإبل، والحور الحسان اللواتي تقلّهنّ الهوادج، فينصرف إلى التغزّل بهنّ على عادة الشعراء القدماء، ثمّ يلج البحث فيشرع بحياة النبي -صلّى الله عليه وآله- وسيرته وصفاته وكراماته، ثمّ مبعثه ورسالته وحروبه ومغازيه، وينتهي بمدح أميرالمؤمنين -عليه السلام- وفضله وبطولته وعلمه، وما ورد في حقّه -صلوات الله عليه- فيستعرض الحوادث التاريخية ويعلّق عليها، ويوفيها حقّها ويختم القصيدة بشهادته -عليه السلام- ومدفنه المقدّس[٣]، ونقدّم إلى القارئ الكريم طائفة منها، لعلّ الله أن يوفّقنا لطبعها بصورة كاملة.

* * *

→

نالَ وسامَ الفخرِ من أحمد ... ونالَ مِن حيدرٍ رمزَ العبورْ
وفاطمُ الطُهْرُ وأبناؤها ... تاجَرَهم (تجارةً لن تَبورْ)
أظهرَ فيها الحقَّ مع حيدر ... وحيثما دارَ عليٌّ يَدُورْ
في كلِ هاءٍ نفخ صورِله ... بَدا بشيراً ونذيراً يَمُورْ (١٥)
زُفَّ بها بناتُ أفكارِه ... عرائساً تجلى برسم البُدورْ
يخاطبُ الفنَّ وأهلَ النُهَى ... وللعُلى قلائدٌ في النُحورْ
لدى الصراطِ في الجزاءِ أرّخت ... فريدةُ البيانِ صَكُّ المُرورْ

٩٤٦٩٤، ٤٧٧١١٠

(٢) طبع الجزء الأول من ديوانه في النجف الأشرف في المطبعة الحيدرية، ويشتمل على حرفي الهمزة والباء، وأكثره في مدح الأئمة الطاهرين -عليهم السلام-.

(٣) مقدّمة الفريدة، ص ٥، ط. النجف، سنة ١٣٧٥ هـ.

«على نهج الأُرزيّة»

الفصل الأول

في الغزل والتشبيب

لِمَنِ العِيسُ في البِطاحِ بَراها ... مِثلَ بَرْيِ القِداحِ جذبُ بُراها

حائراتٌ كأنّها سِرْبُ طَيْرٍ ... حَسِبَتْ لُجّةَ السَرابِ مِياها

وَبها الآلُ في المَفاوُزِ والقَفْرِ ... رِياضٌ تَنَشَّقَتْ رَيّاها

تَرْتَعي جَمْرَةَ الهَجيرِ غِذاءً ... فَيَقِيها عَنْ جُوعِها وَظَماها

(٥) سَبَقَتْ أرْبعَ الرِياحِ بِمَجْرى ... أرْبعٍ وارْتَمَتْ قَصِيَّ نَواها

شَمْألَ الريحِ بُكرةً والنعامى ... وعَشِيّاً جُنوبها وصَباها

ونواصي الآكامِ في كلّ نَصٍّ ... مِن سُراها طيّ الفلاةِ فلاها

يعملات شقّتْ بطونَ الموانِي ... جائبات بطاحها ورياها

ساقها للورودِ رجعُ حنينٍ ... من مَشوقٍ حيثُ الزفيرُ حَداها

(١٠) قد أقلّتْ هَوادِجاً زيّنتها ... من غوانِ النقى وجوهٍ مياها

مرحاً تنثني وتهوي مراحاً ... بثرى وَجْرةٍ ففاقت ظِباها

صرعتنا عيونُ عِينٍ كعابٍ ... أوْسَعَتْ طَعْنَةَ القَنا نَجلاها

وأرى أضْعَفَ الجفونَ فُتوراً ... حين ترمي حَبَّ الحشا أقواها

إنْ يُسالِمْ لجيرةِ الحيّ قلبي ... فَلِحَرْبِ الهَوى هَوى سَلْماها

(١٥) وَأزَجُّ الحواجبِ استلَّ بِيضاً ... بَزَّفيها مِنْ مُهْجَتي سَوْداها

وتَحَلّتْ طَلاً وَزَفّت خدوداً ... صانعُ الحُسْنِ عَسْجَدٌ قد طَلاها

وأسالَتْ دَمِي بِخَدٍّ أسِيلٍ ... فوقَهُ النارُ مُهْجَتي تَصْلاها

بالهَوى قَدْ تَعَذَّرَ الصبرُ مِنّي ... ما رعَتَنْي مِنَ الدُمى عَذْراها

كَسَرَتْ جِفنَها لِتُدْرِكَ فَتْحاً ... مِنْ قُلوبِ العشّاقِ في مَغْزاها

(٢٠) مُقْطَفٌ من خدودِها الوردُ لكن ... مُخْطَفٌ بالورودِ دُعراً حَشاها

طَوقُها يُخْجِلُ الهِلالَ ويُزري ... بالثُريّا مهما بَدَتْ قُرطاها

الفصل الثاني

في التخلّص إلى المدح وبشرع بمدح خاتم الأنبياء محمد -صلّى الله عليه وآله وسلّم-

ذاكَ مَنْ أُعْطي الرسالةَ قبْلَ (م) الكَوْنِ والرُسُلُ لَمْ تكُنْ تُعْطاها
وبهِ آخْتُصّتِ النبوّةُ حَقّاً وعلى الكائناتِ عَمّ ولاها
عِلمُه أدْرَكَ العَوالِمَ حتى جازَ مِنْ بَدْئِها إلى منتهاها
وَجَرى بَحْرُ عَفْوِهِ الغَمْرُ سَيْلاً فَجَلى عن بَني الليالي غُشاها (٢٥)
(وعلى المُمْكِناتِ شرّفَهُ الله وَمِنْ فَيْضِ لُطْفِه أنْشاها)
علم باسمِهِ الملائِكُ قدْماً عَلَّمَ الله آدماً أسماها
سَجَدَتْ مُذْ رَأتْ له نَيّراتٍ شَعَّ في وجهِ آدمٍ لألاها
قَدْ سَرَتْ باسْمِهِ سفينةُ نُوحٍ وَمِنَ المَوْجِ إذ طَمى أنجاها
وسلاماً على الخليلِ وبَرْداً نارُ نمرودَ سِرُّه سَوّاها (٣٠)
وَسَعَتْ في يمينِ موسى عَصاهُ حَيّةً كلُّ ساحرٍ يخشاها
واستعاد المَسيحُ نَفْخَةَ إذنٍ منه يُحْيي مِنَ الوَرى مَوْتاها
وَزَكَتْ نَفْسُ يوسفٍ في وِلاهُ حَيثُ من كلِّ رِيبةٍ بَرّاها
وبهِ يونسٌ مِنَ الحوتِ أنْجَتْهُ يقيناً ولايةٌ قد نَواها
وسليمانُ نال خاتَمَ حُكْمٍ مِنْ يَدَيْ خاتَمِ النبيّينَ طه (٣٥)
أنْبَأتْ باسمِهِ مِنَ الغَيْبِ صُحْفٌ صَدّقَ الكَونُ بالهُدى أنْباها
وبلاهوتِ هيكلٍ قد تَبَدّى والمعاني المقدّسات آرْتداها
وطوى سرُّه العوالمَ طُرّاً وَحَوَتْهُ العُلى برادى طواها
وعلى الطورِ نُورُه لاحَ ليلاً وَسناهُ جَلا دُرى سِيناها
وبه روضةُ النبوّةِ فاحَتْ عشقَ الروحُ روحَها فاجتلاها (٤٠)
أجْمَلَ العِلمَ في جوارحِ جِسْمٍ فَصّلَتْ حِكمةُ الهُدى أعضاها
غَبَطَتْ مَجْدَهُ النجومُ السَواري وبِمعناهُ وفقتْ مَسْراها
لو بَدى بالسَنا مُحيّاهُ يخفى منه في أبْرُجِ السَما نَيّراها

كلُّ أسمائهِ تَوَسَّمْنَ حُسْناً زانَ مِنْ مَكْرُماتِها حُسْناها
(٤٥) يَدُه بَيَّضْت من البيضِ وَجْهاً إنّ خَيْرَ الأيدي تَرى بيضاها
سيّدٌ عِصْمَةُ الورى فيهِ خُصَّتْ أمْسَكَ المُرْسَلُونَ حَبْلَ ولاها
حَمَّلَتْهُ يُمْنى النُبوَّةِ أعْباءاً ثِقالاً وألْبَسَتْهُ عَباها
تَخْضَعُ الإنْسُ و المَلائِكُ و الجن لِعَلْيائِهِ وتَلوي طلاها
كَمْ لَه فُصِّلَتْ أحاديثُ فَضْلٍ سالِفُ الدَهْرِ للقرونِ رَواها
(٥٠) صَدَّقَتْ كُلُّ أُمّةٍ بِعُلاهُ حَيثُ كانتْ رُواتُها أنْبياها
كان مِنْ قَبلِ خَلْقِ آدمَ نُوراً ظُلُمَ الشَكِّ في اليقينِ مَحاها ...

الفصل الثالث

في مدح الصدّيقة فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ

مثل زُهْرِ النجومِ أفعالُهُ الغُرُّ أضاء وبنتُه زَهراها
فاطمٌ بِنتُ أحمدٍ سادَتِ الخَلْقَ جميعاً رجالَها ونِساها
لَمْ نَلْ مريمٌ وآسيةُ الزهراءَ ولا سارةُ ولا حوّاها
(٥٥) ذَكرَ اللهُ قائلاً مَرَجَ البَحْرَيْنِ لكن بذِكْره قَدْ عَناها
صاغَها مِنْ سَبائِكِ المَجْدِ تِبْراً خالصاً يومَ صُنْعِهِ صَفّاها
هي صِدّيقةُ الخليقةِ جمعاً ببهاه الجليلُ فضلاً حَباها
وهي تُدعى شَفيعَةُ الخَلْقِ في الحشرِ وما في الملا شَفيعٌ سِواها
رحمةٌ للإنام باللُطفِ جاءتْ أبْعَدَ اللهُ كُلَّ مَنْ آذاها
(٦٠) يُغْضَبُ اللهُ حِينَ تُغْضِبها الخَلْقُ ويَرضى عن خَلْقِهِ لِرِضاها
بضعةٌ مِنْ فؤادِ خَيْرِ البَرايا وقد اشْتُقَّ مِنْ حَشاهُ حَشاها
واجتبى أُمَّها خديجةَ زَوْجاً بَذَلَتْ لِلهُدى جَميعَ ثِراها
أولُ المؤمناتِ باللهِ كانتْ وبحفظِ النبيّ طالَ عَناها
تلكَ للمؤمنينَ أرأفُ أمْ عنهمُ كُلُّ فتنةٍ تأباها
(٦٥) إنّ عَينَ النبيّ أكرمُ عَيْنٍ لَمْ تُكْرَمْ لأجْلِها عَيْناها
يومَ وافتْ بالوَعْظِ تَزْجُرُ قَوْماً تَرَكَتْ رُشْدَها ووافَتْ هَواها

أثْبَتَتْ في الكتابِ حقّاً مُبيناً والأباطيلُ حُكْمُهُ قَدْ نَفاها
فَدَكٌ في حياةِ أحمد أعْطَتْهُ يَمينُ الهُدى إلى قُرْباها
هَلْ إلى الأنبياءِ أنْزلَ حُكْمٌ إرثُها لا يكون في أبناها
أوَ كانَ الرسولُ يبغي إلٰهاً واحداً والبتولُ تبغي إلٰها (٧٠)
أمْ دَرَتْ ما لَها مِنَ الفَرْضِ لكن طَمَعُ النَفْس بالمُنى مَنّاها
أمْ تَرى أشْكَلَتْ عَلَيها الأحاديثُ وَفيما أدّعَتْهُ كانَ اشْتِباها
وعلي لا يعرفُ الحُكْمَ لَمّا عاجَلَتْهُ شَهادَةٌ أدّاها
جَرَّفيها لِقُرصِهِ النارَ والسِبْطانِ كانا بالحَقِّ مِنْ شُهَداها
ثمّ قالوا بأمِّ أيْمَنَ لَمْ تُفْصِحْ بَياناً مُمَيِّزاً عَجْماها (٧٥)
ضَيّعَتْ عَهْدَ أحْمدٍ في بَنِيهِ وغُرورُ الشيطانِ قَدْ أغراها
أوْصَتِ الطُهْرُ لا يُصَلّي عَلَيْها أحَدٌ مِنْهُم لِيَوْمٍ فِناها
وعليٌّ في الأرضِ لَمّا تَوارَتْ تُربةُ القَبْرِ عَنهم عَفاها
لم تُراعىٰ البتولُ وهي مِنَ العِصْمَةِ فيهم بَقيّةٌ أبقاها

***

الفصل الرابع

في مدح الأئمّة المعصومين -عليهم السلام-

والمصابيحُ في وجوهٍ صباحٍ ترشدُ الخَلْقَ كُلَّهُم ابناها (٨٠)
سادةٌ قادةٌ حُماةٌ أباةٌ طَبَّقَ الكَوْنَ عِزُّها وإباها
يستظلّ الهُدى اذا طَرَقَتْهُ نُوَبُ الدهرِ تحتَ ظلِّ حِماها
أصفياءٌ مَشِيَّةُ الله وَلَّتْهُم فهم بينَ خلقِهِ أصفياها
أسفرَ الحقُّ بالظهورِ فباءتْ حكمةُ الله أنَّهُمْ سُفَراها
قَصُرَتْ عنهم العقولُ مَنالاً حيثُ ضَلَّتْ بكُنْهِهِمْ عُرَفاها (٨٥)
وَبإدراكِ فَضْلِهِمْ علماءُ الدهرِ جارتْ فأشْبَهتْ جُهَلاها
كشفوا عنهمُ نقابَ المعالي في البرايا فاصبحوا نُقَباها
وإذا الدهرُ في الأنام أذاعَ الجهلَ كانوا برأيِهم عُلَمَاها

انحلتْ منهمُ العبادةُ أجساماً وتقوى النفوسِ من تقواها
(٩٠) أبْحُرٌ بالعلومِ فاضتْ عباباً و بحورُ الورى تفيضُ مياها
لم تقابلْ جُونُ السحائبِ منها سرنَ في الجوّ قطرةً من نَداها
كرمت دوحةُ العلى بأكرمِ ذاتٍ قد حكتْ ذاتَ احمدٍ وحكاها
جعلت نفسه بنفسِ بَنيهِ ومن العلمِ والندى ربّاها

***

الفصل الخامس

في مدح صاحب الأمر ـ عليه السلام ـ

آلُ بيتٍ بقائمِ السيفِ للمِلّةِ عَزّتْ بقائمٍ قد تلاها
(٩٥) مُضمَرٌ والعلومُ تظهرُ منه ناشرٌ من ذرى المعالي لِواها
تُملأُ الارضُ منه عدلاً وقسطاً ومساعيه حجةٌ لاُ تضاها
لوضربتَ البلادَ شرقاً وغرباً لم تجدْ فيه ماله أشباها
من ضباه متى تَبَسَّمَ بَرْقٌ أضحكَ الدينَ والعِدى أبكاها
فإذا اجتازفي القفارِ مروراً تُنبتُ الرندَ والكبا قَفراها
(١٠٠) ومتى مِنْ بنانِهِ فاضَ سيبٌ طاولت اغنياءَها فُقَراها
بركاتُ الهدى به تغمرُ الخلق فتمحو شقاءَها وعناها[٤]
ترجف الأرضُ من سنابكِ خيلٍ حِزبُهُ في دجى القتامِ امتطاها
كم لقُطرِ الرشادِ قَدْ سدَّ ثغراً وَلِدُهْمِ الخُطوبِ شَقَّ لَهاها
يقعسُ الشركَ في الحمامِ هُمامٌ نال من كلِّ عِزَّةٍ قَعساها
(١٠٥) حاجبٌ عنده ابنُ مريَم والخضرُ له كلّ خدمةٍ أدّاها
عَجِبَتْ من عُلاه سبعٌ شدادٌ منه عجباً تقولُ: واهاً واها

---

(٤) يشير الشاعر الكبير إلى امتلاء الأرض من العدل، وعمرانها في دولة الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ التي جاءت في الأحاديث الواردة في الكتب المعتمدة. أُنظر: «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر ـ عليه السلام ـ» لصديقي العلّامة الصافي ص ٤٧٨ وص ٤٨٢.

وبه يقتدي المسيحُ فينوي لصلاةٍ وراءَهُ يقواها
يكشفُ الليلَ من محياه نورٌ إن بدا للمساء أخفىٰ ذكاها
ناشرٌ رايةَ النبيّ عقاباً تستظلُّ العقبانُ في أفياها
ومواريثُ أحمدٍ وعليٍّ مذ وَعىٰ عندَه استقلَ وِعاها (١١٠)
هو عينُ الله التي تلحظُ الغيبَ فلم تنطبقْ كرىً جفناها
عالمٌ بالذي يكون وما كان بدنيا الأنامِ أو أُخراها
وعليه الأعمالُ تُعْرَضُ يمتازُ بعينيه دُرَّها وحَصاها
كلّما أنجمتْ قرونُ ظهورٍ عن علاه سترُ الخفا واراها
فهي الساعةُ التي وَعَدَ اللهُ بها خلقَهُ وقد أخفاها (١١٥)
تطلعُ الشمسُ وهي من جهةِ الغربِ مطلاً نصبَ العيونِ ضُحاها
وتدورُ الأفلاكُ في راحَتيهِ والمقاديرُ وهو قُطبُ رَحاها
جعلَ اللهُ في العوالمِ قُدماً في يديه وقوفُها وسُراها
لنبيّ الهدى معانيه تنمى قد زكا فرعُها وطابَ شَذاها
جدُّهُ جَدَّ بالمناقبِ حتى ضاق عن وُسعِ جانبيه فَضاها (١٢٠)
وَرَدَ الخضرُ منه عينَ حياةٍ وبه نفسُه أطالَتْ بَقاها
ورجالٌ علت لأصواتِ أُسدٍ تُشبهُ الحشرَ رَنَّةً غَوغاها
وبراياتِها الملائكُ حَفَّتْ فاضاقتْ من القفارِ فَضاها
وأبادتْ حِرابُها الصِيدَ في الحربِ وسَدَّتْ بخَيلها بَيداها
تقتدي في الهُدى بخيرِ إمامٍ حققتْ رُشدَها به وهُداها (١٢٥)
خاتمُ الأوصيا به أنبياءُ اللهِ من قبلُ بَشَّرَتْ أوصياها
وإليه انتهتْ جميعُ المعالي يوم عُدَّتْ وكان منه ابتداها
إن عصته رهنَ الضلالةِ قومٌ شَقَّ صمصامُهُ الزليقُ عصاها
تطهرُ الأرضُ من عداه أديماً بشبا السيفِ لا بسيلِ دِماها
مدركٌ للهُدى هنالك وتراً جَحَدَتْهُ الاعداءُ من آباها (١٣٠)
شأنُهُ العفوُ في النوائبِ لكن كلُّ دارٍ من العِدىٰ عَفّاها

دارَفي سيفِهِ الحمامُ فأبقى عصب البيضِ دُورُها تنعاها
رنَّ فيها رجعُ الصدى مذ مَحَتْها منه بِيضٌ جلا الرشادُ صَداها
بطلٌ لونعىٰ الصخورنداه بدمٍ منه فجرت صَمّاها
(١٣٥) قد عرتْ قضبه حدودُ المنايا ومن الغمدِ للطلا أعراها
بَيَّضَتْ أوجُهَ الحفائظِ منه وسعاد الشقى لوى سمراها
لوتلاقي الشمُّ الرواسي جنانا منه لانحَطَّ رهبةً أعلاها
كم روى سيفُهُ احاديثَ حتفٍ للأعادي وبالدِما رَوّاها
وتزيلُ الجبالَ نهضةُ عزمٍ منه في منكبِ السما أرْساها
(١٤٠) ولدت باسمِهِ المنية حتى أرضَعَتْهُ دمَ العِدى ثدياها
وَحّدَ الله والخلائقُ طُرّاً شِرْكُها عن إلٰهها ألْهاها
وببيتِ الإلٰهِ كبّروالكُفّارَ أوطأ فعالُه كبرياها
ودَهاها بكلِّ خَطْبٍ مروعٍ فقدتْ فيه مَكْرَها وَزُهاها
لَمْ يَرْعَهُ عَوْي ذئابٍ ضَلالٍ وهوراقٍ مِنَ السماءِ عَواها
(١٤٥) مِنْهُ دَكّتْ بالرعبِ أدبارَصِيدٍ شَقّ من غارةِ الرَدى شَعْواها
حَرَمَتْ كَفُّهُ صناديدَ مَخْزُومٍ فَقِيدَتْ بالذُلِّ تَشكووَجاها
كَمْ لَهُ غزوةٌ بأجنحةِ الموتِ أطارَتْ مِنَ العِدى أحْشاها
يَومُ عَفّى للشركِ عقْرِديارٍ بَثّ في أوجُهِ الكُماةِ عفاها
وشفى علّة من الدينِ كانتْ تَشْتكي المُمْكناتِ من عدواها
(١٥٠) وبه المِلّةُ استقامَتْ فحازَتْ صحّة بالوجودِ بعد خَناها
ومَحا جاهليةَ الشِرْكِ منهُ ضربَ بيضٍ لَظى الردى أحماها
وَبِأُمِّ القُرى بِحَمْدِ قُواهُ دَعوةُ الحقِّ في الوَرى أدّاها

***

الفصل السادس

في مدح شيخ الأباطح أبي طالب ـعليه السلامـ[٥]

طلبت بيضةُ الهدى منه صوتاً ... بأبي طالبٍ ترقى ذُراها
وحمى شعبةَ الرسالةِ لما ... قام في حفظِها فكان وِقاها
وازر المصطفى بقولٍ وفعلٍ ... وقريشٌ من أجلِهِ عاداها (١٥٥)
كان للدينِ حامياً وظهيراً ... دونَه كل نكبةٍ يلقاها
هو ربّىٰ لأحمدٍ خيرَ نفسٍ ... في حماه يتيمةً اواها
لم يزل كافلاً له في القضايا ... وهو في حيّ قومِهِ أقضاها
وإلى الهجرةِ استعدّ غداة الـ ... ـموت حوباء عمّه وافاها
أظهرتْ كيدها له العربُ حقداً ... يوم غابَ الهِزَبْرُ عَن مثواها (١٦٠)
ليتَ شِعري هذا الذي ناطحَ الشُهْبَ بمجدٍ جلا على شعراها
لم تَمُتْ نفسُه على الكُفْرِ كلاّ ... ومن الغيِّ والشقا حاشاها
كان للمصطفى معيناً على الأوثان حقّاً يريد هَدْمَ بِناها
عَظَّمَ اللهُ في قصائدِهِ الغُرِّ ... وأبدى على النبيِّ ثناها
ورأى دينَ أحمدٍ خيرَ دينٍ ... وجميعَ الأديانِ مَقْتاً قَلاها (١٦٥)
كيفَ يبقى غداً بضحضاحِ نارٍ ... ومَساعيه كانَ هذا جَزاها[٦]

---

(٥) وله أيضاً قصيدة أُخرى يمدح بها والد الإمام أميرالمؤمنين ـعليهما السلامـ، ذكرها العلاّمة النقدي ـرحمه اللهـ في آخر «زهرة الأدباء في شرح لاميّة شيخ البطحاء» ص ٤٥، ط. النجف، قال: وللفاضل الأديب الطائر الصيت الشيخ عبدالحسين الحويزي... أولها:

تـوارى محيـا الشمس مـنـك بحـاجـبٍ ... حياء وخوف الفتك من قوس حاجبِ

(٦) إشارة إلى رواية مدسوسة وضعها أعداء الإمام أميرالمؤمنين ـعليه السلامـ في ذمّ والده شيخ الأباطح، من أنّه في ضحضاح من نار يغلي دماغه، ويردّ على هذه الفرية الإمام الخامس باقر العلوم ـعليه السلامـ كما يحدّثنا ابن أبي الحديد في شرحه على النهج ج ٣ ص ٣١١ سئل عمّا يقول الناس أنّ أبا طالب... فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفّة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفّة الأُخرى لرجح إيمانه...

ويقول ابن الأثير في «جامع الأُصول» عند ذكر أعمام النبي ـصلّى الله عليه وآلهـ: ما أسلم منهم غير حمزة والعبّاس وأبي طالب عند أهل البيت.

وتقيس الخُطّابَ قوم بشهمٍ نَعَتَتْ في صفاتِه خُطَباها
سَلْ قريشاً هل غيرَ عبدِ منافٍ سيّداً كان في حمى بَطحاها
زوجُهُ فاطمُ التي أسد كان أبوها وهاشمُ ربّاها
(١٧٠) لبوةٌ في شرى البسالةِ شبّتْ وعليٌّ وجعفرٌ شِبلاها
وعقيلٌ الذي به تُعرفُ الأنساب إنْ تُجهل الورى عرفاها
أخوهُ من أبٍ وأُمٍّ كرام قد صفا بالنبي درّ أخاها
إنْ تَقُلْ أيّها المجادلُ صدقاً ذاكَ نَفْسُ الهُدى وَهُمْ أعضاها
للهُدى أثبتتْ يداه أُصولاً وهم فرّعوا على مبناها
(١٧٥) كيف يُملي عليه الروحُ الأمينُ عليه جمل الوحي وهو قد مأتلاها

***

الفصل السابع

في مدح الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ

أوَلَمْ يدرِ جَبْرَئيلُ بعلمِ المُصطفى ليس جزؤه يتناها
كم له من معارجٍ بالمعالي ينتهي الفكرُ عن مدى مُبتداها
سعدتْ أمّةٌ إلى الحقِّ تُعزى وعليٌّ واحدٌ أبواها
إن نفسَ النبيّ بالقربِ اختُ نفسٍ من في أُمورِه أوصاها
(١٨٠) كيف ادنتْ يدُ النبوةِ اقصى الناسِ وأبعدتْ قُربَاها
إن في الخلقِ احمداً وعلياً من عُلا قدرةِ الإلٰهِ بَراها
فهما في الوجودِ شرقاً وغرباً ذاك يُمنى لها وذا يُسراها
كم لدينِ الإلهِ أجسامُ مجدٍ وهما قبل خلقِهِ رُوحاها
سبحتْ منهما الملائكُ حقاً وبجاهيهما استُجيبَ دُعاها
(١٨٥) وعلى الخافقين داسا جناحاً وبه غاية العُلى بلغاها
أوردا الخسفَ كلَّ ذي جبروتٍ والعُلى بعدَ كسرِها جبراها
لهما اللهُ خُطَّ أسماء قدسٍ بان من فوقِ عرشِهِ سطراها
شقَّ بدرَ السماءِ طه وَرُدَّتْ لاخيه بعدَ الغروبِ ذُكاها

هو نفسُ النبيّ بالنصّ حقاً (قل تعالوا) قضت بذا دعواها
فهما واحدٌ إماماً بذاتٍ بارئُ الخلقِ بالثنى ثَنّاها (١٩٠)
شَقَّها اللهُ في الخليقةِ نصفين قدماً وباسمِهِ سمّاها
لم يميزْ منها البصيرُ صفاتٍ لفظة اثنين واحدٌ معناها
بات ليلاً على فراشِ رسولِ اللهِ يشتاقُ للمَنونِ لِقاها
وبه احدقتْ جموعُ قريشٍ واستطالتْ له طلا رُؤساها
رقدتْ في المبيتِ عيناهُ لكن قلبُهُ للهُدى أفاقَ انتباها (١٩٥)
كلّما في دُجى الردى هدّدتْهُ سَطوةُ الشركِ لم يكن يَخشاها
فادياً دونَ أحمدٍ منه نفساً كلُّ نفسٍ حقاً تكون فِداها
انزل الله جبرئيلَ وميكائيلَ ليلاً لنفسِه حَفِظاها
قال كلٌّ له: بخٍ لك حقّاً إنَّ ربَّ السما بمثلك باها...(٧)

وفي آخرها يقول:

بشرٌ بَشَّرتْ به الرسل قدماً وبهِ اللهُ للملائكِ باها (٢٠٠)
كان سراً مع النبيّ من قبل يوفى قلوبها سرّاها
كلُّ أهلِ النُّهى بمعناه حارتْ ودعتْ باسمِهِ الغلاةُ إلٰها
ليس تخفى له المجد ذاتٌ محكمُ الذكرِ بالثنا أطراها
بمرورِ العصورِ جيلاً فجيلاً ليس ينسى طولَ الزمانِ جداها
بالعُلى سادت الخليقةَ جمعاً حيث جبرئيل خادم إيّاها (٢٠٥)

---

(٧) يشير شاعرنا الكبير إلى أروع صورة يرويها لنا التاريخ عن الإيثار التي كانت متمثّلة في الإمام أميرالمؤمنين علي -عليه السلام- حين مبيته على فراش رسول الله -صلّى الله عليه وآله- ليلة هجرته، يفديه بنفسه، ويقيه بمهجته، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كل واحد منهما الحياة وأحبّاها، فأوحى الله -عزّوجلّ- إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه.

فكان جبرئيل وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول: بخ بخ، من مثلك يابن أبي طالب، والله يباهي بك الملائكة، فأنزل الله في علي -عليه السلام-: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) [سورة البقرة الآية ٢٠٧] كما حدّثنا بها الغزّالي في كتابه «إحياء العلوم» وغيره.

حين تتلى على النفوس بياناً بسناها الموت الوحى ثناها
كم له صيحة تذيبُ الرواسي ومن الصخرِ أسمعتْ صَمّاها
وتلبي الأفلاكُ طوعاً لديهِ مسرعاتٍ بالدوران ناداها
حلَّ لما قضى ضَرائحَ قُدسٍ رحمةُ اللهِ إكرمتْ مثواها
(٢١٠) فعلى ذاتِه إلهُ البرايا بالمثاني صلّى غداةَ اجتباها

الثالثة: ملحمة الشاعر الفذّ، والعالم الجليل الشيخ عبدالله بن علي ابن عبدالله الوايل الأحسائي، المعروف بـ (الصائغ).

ونحيلك إلى ما كتب عنه سميّنا الخطيب الهلالي في نشرة «تراثنا»[٨] التي تصدرها مؤسسة آل البيت -عليهم السلام- بقم المقدّسة، قال:

ولد الشاعر في الهفوف عاصمة الأحساء في حدود النصف الأول -أو بعده بقليل- من القرن الثالث عشر، ولم يحدّد بالضبط تاريخ ولادته، غير أنّه كان حيّاً عام ١٢٨١ هـ، وهو تاريخ الفراغ من نظم ملحمته الشعرية، كما أرّخها هو في آخر أبياتها.

والشاعر، بالإضافة إلى ملكته الشعرية، كان أحد العلماء المحصّلين، أخذ دراسته العلمية في مدينة الأحساء على يد علمائها آنذاك، ومنهم الشيخ محمد أبو خمسين، فقد أخذ عنه الحكمة والفقه، ولا يدرى هل سافر إلى النجف أم لا؟

وله من الآثار: ١- ديوان شعر كبير يتألف من ثلاثة أجزاء في مختلف الأغراض والمواضيع، ٢- كشكول كبير، ٣- نهج الأُرزية، وهي الملحمة التي سنقدّم جزءاً منها للقارئ: تشتمل على أكثر من (١٥٠٠٠) بيت من الشعر، كما توجد له ثلاثة بنود في التوحيد، والنبوة، والإمامة، وتوفي عام ١٣٠٥ هـ في قرية (سيهات) إحدى قرى مدينة القطيف[٩].

وذكر من الملحمة مائة وأربعين بيتاً، أولها:

---

(٨) العدد الرابع، السنة الأُولى، ربيع ١٤٠٦ هـ.
(٩) العدد الرابع، السنة الأُولى، ربيع ١٤٠٦ هـ.

هـذه رامـة وهـذي رُبـاهـا فاحبسا الركبَ ساعةً في حماها..

ومنها:

كيفَ لا تَمْلِكُ المعالي نَفْسٌ حُبُّ طٰه بنوره زكّاها
أحمدُ المصطفى أجَلُّ نبيٍّ بعثَ الله للورى لهُداها

إلى أن يقول:

أولُ السابقينَ في حَلبةِ الفضل ومِصْباحُ أرضِها وسَماها
نَيِّرٌ أشرَقَ الوجودُ بإشراقاتِ أنوارِ عِزّهِ جَلّاها

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا لنشر هذه الملاحم الغرّاء، والقصائد العصماء بصورة كاملة، وطبع جيد، للملأ الإسلامي بالأخصّ للمشتاقين إلى الأدب العربي والمرتشفين من منهله العذب، وما ذلك على الله بعزيز.

الشيخ جعفر عباس الحائري

قم المقدسة